رحلة

يمضي القطار المتجه بي للقاهرة بصوت عجلاته الرتيب متثاقلاً بين الحقول الخضراء وأنا جالسة مستغرقة في قراءة كتاب شدني فأخذت التهم سطوره بعيني فجأة تنبهت إلى ما حولي... اثار المقعد في مواجهتي ذكريات حاولت نسيانها.

هنا في هذا القطار ولنفس الوجهة كنا معاً... نجلس متقابلين في رحلتنا الأولى سوياً لمقابلة الطبيب الاستشاري... تذكرت كيف كنت أجلس معه نتسامر كعادتنا بعدما كَلَّ وأضعفه المرض وهد قواه وكيف جلسنا من منتصف الليل وبقينا يقظين حتى أذن الفجر نتحاور فيما يعن لنا من القضايا وأمور الحياة التي تدور حولنا.

تذكرت كيف كان عليماً بالحياة علماً ممزوجاً بخبرة حياة لم تكن بالسهلة، وخفة ظل لا حدود لها... تذكرت كيف سألني مرة:

– لو امتلكت آلة زمن فإلى أي زمن تذهبين؟

أجبته إجابة ظننتها ترضيه:

– سأذهب إلى صدر الإسلام.

فضحك قائلاً:

– لو عاد بك الزمن لهذا العهد سيعتبرونك كافرة... هل يصلح هذا الشكل أن يكون لصحابية؟

فضحكنا كثيراً، ومازلت اضحك كلما تذكرته.

– افتقدك أبي... افتقد ضحكنا من القلب سوياً... آه أيها القلب... ما أوجعك!